

RABIE

عبدو محمد

8 – 12 سنة

مجموعة قصص عربية للأطفال

(2)



الزعيم

تأليف

عبدو محمد

رسوم وإخراج

نشوان خريط





لماذا سخر أطفال القرية من زعيمهم ؟

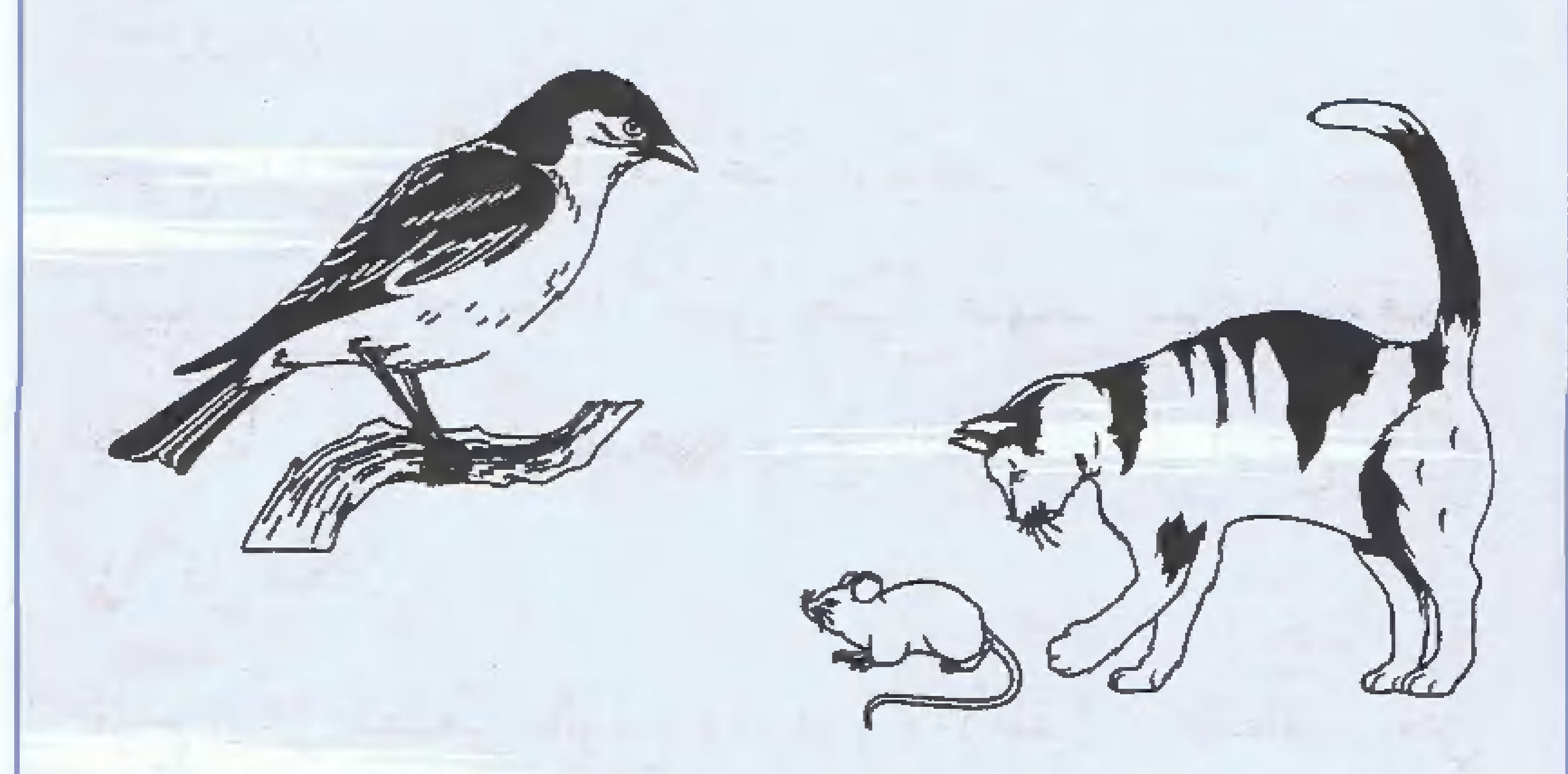
وكيف استطاع البلبل الصغير الانتصار على القط المعتدي بذكائه ؟

وما هي حكمة السنديانة الكبيرة التي نقلتها لصغارها ؟

ستعرفون ذلك وغيره حين تقرؤون قصص هذه المجموعة التي كُتبت لصغارنا الأحباء بلغة سليمة دقيقة رقيقة تساعدهم على تنمية مهاراتهم اللغوية ومعارفهم الأدبية ، ولتكون زاداً فكرياً معرفياً لهم .



ذَكاءُ البُلْبُلِ الصَّغير



لَمْلَمَ الشتاءُ عباءَتَهُ الثلجيَّةَ ورَحَلَ ، آخذاً معَهُ الرياحَ والأمطارَ والرُّعودَ ، وأطلَّ الربيعُ بوَجْهِهِ الضاحكِ ، فضحكَتِ الدنيا لإطلالَتِهِ ، الأشجارُ تفتَّحَتْ بَراعِمُها زُهوراً جَميلةً ، والمروجُ لبسَتْ ثوباً أخضرَ مُزَهَّراً رائعَ الجمالِ ، والفراشاتُ حرَّكَها عَبَقُ الزهورِ ، فراحَتْ تَنْتَقِلُ بَيْنَها بالآلافِ ، أما الطيورُ فراحَتْ تحومُ مُغَرِّدَةً أجملَ الألحانِ ، بينما كانتِ الخرافُ تَثْغُو حَوْلَ أُمهاتِها في

المَراعِي ، أَما الأطفالُ فكـانوا يلعَبُـونَ في السـاحاتِ فَرِحـينَ مَسْرورينَ .

خرجَ بلبلٌ صغيرٌ جميلٌ من عُشِّهِ ، وَقَفَ على غُصْنِ شَـجَرةٍ قريبةٍ ، نَفَضَ جَناحَيْـهِ كَمَـنْ يَطْرُدُ عَنْهمـا البَرْدَ ، ووَقَـفَ يتدَّفأُ بأشعةِ الشمسِ الذهبيةِ ويمتِّعُ ناظِرَيْهِ بجَمالِ الربيعِ حَوْلَه في كلِّ مكانٍ .

فرِحَ البلبلُ الصغيُر بالربيعِ والزهورِ والأطفالِ ، فانطَلَقَ يغنِّي لهم أجملَ الألحانِ .

سمِعَ فأرٌ صغيرٌ غناءَه ، فخَـرَجَ مـن جُحْـرِه لِيَسْـمَعَ المزيـدَ ، ولكـنَّ قطـاً خبيثـاً كـانَ يـترَصَّدُه ، فـانقضَّ عليـه ليأكُلَـهُ ، وبسرعةٍ عجيبةٍ عادَ الفأرُ لجُحْرِه ، وأنقذَ نَفْسَه بأُعجوبةٍ .

تَحَسَّرَ القِطُّ لفَشَلِه فراحَ يَـدُورُ حَـوْلَ الجُحْـرِ ، ولَمّـا سَـمِعَ غِناءَ البلبـلِ ، ورآه علـى غُصـنِ الشـجرةِ سـارَ إليـه ، وهُـوَ يفكِّر بحيلةٍ لاقتناصِهِ وأَكْلِهِ .

خاطبَ القِطُّ البلبلَ وقالَ :

ـ لِمَنْ تُغَنِّي أيها البلبلُ الجميلُ هذه الألحانَ العذبَةَ ؟

رَدَّ البُلبلُ :

ـ ألا تَرَى هذا الجمالَ حَوْلَكَ أيها القِطُّ . . ؟ إنني أُغني له ، للربيعِ والأطفالِ والزهورِ ..

قالَ القِطُّ :

ـ الحَقُّ معكَ أيُّها البلبلُ الجميلُ ، فكَمْ هو جَميلٌ لَعِبُ الأطفالِ ، هَيَّا تعالَ لِنَلْعَبَ مَعَهُمْ . في هذه اللحظةِ مَدَّ الفأرُ رأسَه من جُحْرِه وصاحَ : ((لا تأْمَنْهُ أَيُّها البلبلُ ، إنه سيأكُلُكَ لو نَزَلْتَ)) قالَ الفأرُ هذا ثُمَّ غابَ في الجُحْرِ خَوفاً من القِطِّ .

صَدَّقَ البلبُلُ كَلامَ الفأرِ ، فلَيْسَ مِنَ الحِكْمَةِ أن تَلْعَبَ العصافيرُ مَعَ القِطَطِ ، لذا قالَ البلبلُ :

ـ لا أَيُّها القِطُّ ، أنا لَنْ أَلعبَ مَعَكَ .

قالَ القِطُّ بلَهْجَةٍ مُتَمَلِّقَةٍ :

ـ هَلْ صَدَّقْتَ الفأرَ يا عزيزي البُلبلَ ، إنه يَكْذِبُ ، فأنا أُحِبُّكَ فلا تَخَفْ ، هَيَّا تعالَ ولَكَ مِنّي الأمانُ .

رَدَّ البلبلُ :

ـ كَيفَ أُصَدِّقُ قَوْلَكَ أَيُّها القِطُّ ، وأنتَ تَسْرِقُ الخُبْزَ مِنَ الأطفالِ الذينَ يَلْعبونَ مَعَكَ ، لَقَدْ رأيتُكَ مرّاتٍ كثيرةً تفعلُ ذلكَ .

غَضِبَ القِطُّ وصاحَ :

ـ سأُريكَ أَيُّها البُلبلُ العنيدُ .

ثم تسلَّقَ الشجرةَ يريدُ الوصولَ إليهِ .

فكَّرَ البلبلُ وصَمَّمَ بسُرْعةٍ :

ـ لَنْ أهْرُبَ ، ولَنْ أَتْرُكَ شَجَرتي الجميلةَ لأَعْدائي ، سأُقاوِمُ وسنَرَى مَنْ سَيَنْتَصِرُ .

لَمّا دَنا القِطُّ مِنَ البُلبلِ وقَفَزَ إليهِ ، طارَ البُلبلُ إلى غُصْنٍ

آخرَ ، ولمّا قفزَ إليه مَرَّةً ثانيةً طارَ إلى غُصُنٍ آخَـرَ : وهكَـذا كُلّما كانَ القِطُّ ينقَضُّ عَلَيْهِ ، كـانَ البُلْبـلُ يطـيرُ إلى غُصُنٍ آخَرَ .

ولكِـنْ كـانَ فِي كُـلِّ مَـرَّةٍ يطـيرُ إلى غُصُـنٍ أصْغَـرَ وأرْفَـعَ وأَعْلَى ؟

في المرَّةِ الأخيرةِ ، حَطَّ البلبلُ على غُصُنٍ صَغيرٍ رَفيعٍ ، فلمَّـا انقَضَّ القِطُّ عَلَيْه ، طـارَ البُلْبُـلُ ووَقَـعَ القِـطُّ علـى مكانِـهِ ، ولأنَّ الغُصْنَ كانَ صَغيراً ورَفيعاً ، انكسَـرَ تحتَ ثِقَلِ القِـطِّ وسَقَطَ مِنْ ثَمَّ على الأرْضِ وصاحَ باكياً :

ـ آهِ .. آهِ .. لَقَدِ انْكَسَرَتْ رِجْلي .

ضَحِكَ البلبلُ فوقَ الشجرةِ وقالَ :

ـ هذا جزاءُ المُعتَدِي .

ثُمَّ راحَ يُغنّي من جَديدٍ للأطفالِ والربيعِ والزهورِ .

حِكْمةُ سِنْديانة



عَلَى سَفحِ جَبلٍ أجْرَدَ ، كانَتْ تقفُ سِنديانةٌ عَجوزٌ ، تَشمَخُ بإباءٍ ، وقُرْبَها ثلاثُ شَجَراتٍ صَغيرةٍ مِنْ بَناتِها .

كانَ الفَصْلُ شتاءً ، وكانَتِ الريحُ العاتيةُ تعصِفُ بِهنَّ بقوَّةٍ رَهيبةٍ ، كأنّها تريدُ اقْتلاعَهُنَّ ، وكانَتْ أغصانهُنَّ تَئِزُّ أزيزاً حزيناً ، كأنهنَّ أطفالٌ يَنْتَحِبونَ مِنَ البَرْدِ .

بَعْدَ مُرورِ العاصِفةِ ، وقفَتِ السِّنديانةُ العجوزُ ، شامخةً ، غيرَ

مباليةٍ ببعضِ أغصانِها التي تكسَّرَتْ ، ثـم نـادَتِ الشَّجَراتِ الثلاثَ وقالَتْ :

ـ هَلْ رأيْتُنَّ يا بناتي ما فَعَلَتْه الريحُ بنا ؟

رَدَّتِ الشجرةُ الأُولى :

ـ آهِ يا أُمي مِمّا رأيْنا ، لقـد تسـلَّلَ الـبردُ إلى عُروقـي لدرجـةٍ أشعَرَتْني بأنها ستَقْتُلُني .

أكْملَتِ الشجرةُ الثانيةُ :

ـ إنَّ شدةَ عَصْفِها بأغْصـاني ، جَعَلَتْـني أبكِـي خوْفـاً وألماً ، ظننتُ أنها ستَقْتَلِعُني وتُلقي بي بعيداً .

رَدَّتِ الشجرةُ الأُولى :

ـ ومِمَّ تخافِينَ إذا فَعلتْ ، أتأسَفينَ إذا مـا ألقَـتِ الريـحُ بـكِ بعيداً عن هذا السفحِ الأجردِ ، رُبَّما تجدينَ مكاناً أفضلَ .

أَيَّدَتِ الشجرةُ الثانيةُ :

ـ ما تَقولينَه صحيحٌ يا أُختِي ، الحياةُ هنا مُمِلّة قاتلةٌ ، لا طيرَ

يُغرِّدُ ، ولا غزالَ أو أرنبَ يَرْعى ، حتى بِتْنا نَشْتَهي سَماعَ عُواء ذئبٍ قُربَنا .

تَدَخّلَتِ الشجرةُ الثالثةُ :

ـ لَقَدْ أخطأتُما يا أُختيَّ في كلِ ما قُلْتُما ، كيفَ تَذُمّان هذا السفحَ الأجرَد وهو مَوْطِنُنا وفيه نَبْتُنا ، ثم كيفَ تَرْضَيانِ بالعيشِ في أرضٍ أُخرى غَرِيبَتَيْنِ ، والغريبُ منبوذٌ ، ثم ألا تعلمانِ أننا إذا ما اقتُلِعْنا وأُبْعِدْنا عن أرْضِنا نموتُ ، وأخيراً فالوَحْدةُ القاتلةُ التي تتحدَّثانِ عَنْها ، هي بسببِ رياحِ الشتاءِ القارسةِ ، التي تُجْبِرُ الحيواناتِ على الهَربِ إلى الملاجئِ ، ألا تذكرانِ كيف تتكاثرُ حولَنا في الصيفِ الطيورُ والحيواناتُ .

قالتِ الشجرةُ الثالثةُ هذا ، ثم التفتَتْ إلى أُمها وسألَتْ :

ـ ولكنْ يا أُماه ، لماذا تحاولُ الريحُ إلحاقَ الأذى والضررِ بنا هكذا ؟

أجابَتِ السنديانةُ الأمُّ :

ـ لأنها مستَبِدَّةٌ طاغيةٌ ، إنها تظنُّ أنها تستطيعُ التحكُّمَ بالعالَمِ ، ولذلك فهِيَ تَعْصِفُ بكلِّ ما يَقِفُ في طَريقِها بقسوةٍ وشدَّةٍ ، إنها تحاولُ أن تُحيلَ سَطْحَ الأرضِ إلى ملعبٍ مُسْتَوٍ لتَمْرَحَ وتَسْرَحَ فيه ، لذلك فعِنْدما ترانا واقفِينَ ، تظنُّ أننا نتحدَّاها وتَقْصِفُنَا بشدَّةٍ وقَسْوَةٍ ، ولأننا معشرَ الأشجارِ لا نَعيشُ إلا واقفينَ ، فإننا نتحَمَّلُ قسوةَ الريحِ وأذاها .

سأَلَتِ الشجرةِ الثالثةُ :

-ألا نستطيعُ مقاومةَ الريحِ الطاغيةِ يا أمَّاهُ ؟

أجابَتِ الأُمُّ :

ـ كنتُ أَنتظرُ حتى تَكْبَرْنَ ، ولكنِّي أشعرُ بأنَّ هذا الشتاءَ ، سيكونُ شِتائيَ الأخيرَ ، لذا اسْمعوا وصيَّتي لَكُمْ :

إن الريحَ لا تستَبِدُّ وتَطْغَى ، إلاّ في الأماكنِ الجَرْداءِ ، حَيثُ لا يُقاوِمُها أحدٌ ، فحوِّلوا هذِهِ الأرضَ التي أنتمْ عليْها إلى

غابةٍ كثيفةٍ ، تستطيعونَ عندَها التصدِّيَ للريحِ العاتيةِ ..

سألتِ الشجرةُ الأُولى :

-وكيفَ نفعلُ ذلك يا أُمَّاهُ ؟

رَدَّتِ السنديانةُ الأُمُّ :

ـ امْدُدْنَ جُذُورَكُنَّ عميقةً في الأرضِ ، ولْتَحْمِلْ أغصانُكُنَّ الكثيرَ من الأزهارِ ، وعندَما تصبحُ الأزهارُ بذوراً ، انْثُرْنَهَا حَوْلَكُنَّ ، وعندَما تُنْبِتُ البذورُ نباتاتٍ طريةً ، احْمِيْنَهَا وارْعَيْنَها في ظلالِكُنَّ ، وهكذا ، وبعد عدَّة سنواتٍ سيمتلئُ هذا السفحُ أشجاراً ، وسيتحوَّلُ بذلك إلى غابةٍ كثيفةٍ منيعةٍ .

سألَتِ الشجرةُ الثانيةُ :

-وهَلْ سَتَتْرُكُ الريحُ بذورَنا لتنموَ وتكبرَ ؟

أجابتِ الأُمُّ :

ـ سَتَذْرُو بعضَ البذورِ بعيداً ، وستكْسِرُ بعضَ الأغصانِ ،

بل وستَقْتَلِعُ بعضَ الشجَيْرات ، ولكنْ بالصبرِ والإصرارِ ستحقّقْنَ هَدَفَكُنَّ ، وعندَها ستفْرَحْنَ كثيراً يا بناتي ، وستتمَتّعْنَ بالغابةِ التي كَوَّنْتُنّها ، فستَمْتَلئُ بالطيورِ والغِزلانِ والأُسودِ وغيرِها ، وستطرَبْنَ لأغانِيْها ، وستُسْرَرْنَ لنُزُهَاتِها .

ما كادَتِ الشجرةُ الأُمُّ تُنهي كَلامَها ، وترفعُ رَأْسَها ناظرةً إلى الأُفُق البعيدِ ، حتى التفتَتْ إلى بناتِها وقالَتْ :

ـ هيَّا يا بناتي ، تَشَبَّثْنَ بالأرضِ جَيِّداً ، فإني أَرى عاصفةً قادمةً ، فإذا ما اقْتَلَعَتْني ، فَوَصِيَّتي لا تَنْسَيْنَها .

وَصَلَتِ العاصفةِ بعدَ قليلٍ ، شديدةً رهيبةً ، وظَلَّتْ تَعْصِفُ ثلاثةَ أيام بلَيالِيها ، واستطاعَتْ في اليومِ الرابعِ ، أن تَقتلعَ السنديانةَ العجوزَ ، وتُدَحْرِجَها بَعيداً ، وهِيَ تُزَمْجِرُ كمَنْ حَقّقَ انْتصاراً ، وبعدَها بقليلٍ هدأَتِ العاصفةُ .

حزِنَتِ الشَّجَراتُ الثلاثُ لمصيرِ أُمِّهِنَّ ، وامتلأَتْ نفوسُهنَّ

لذلكَ عزماً وتصميماً على تحقيقِ وصيِّتها .

وفي الربيعِ باشَرْنَ التنفيذَ ، ولذلكَ ما مرَّتْ عِدَّةُ سَنواتٍ حتى كانَ السفحُ الأجْرَدُ قد تحوَّلَ إلى غابةٍ كثيفةٍ جميلةٍ منيعةٍ ، وبذلكَ تحقّق حُلُمُ الشجرةِ العجوزِ الأبيَّةِ الحكيمةِ .



نِهايةُ شاطِر



عِندَما كنتُ تلميذاً في الصفِّ الخامسِ كنتُ ولداً شَقيًّا كَما كانَ يُسمِّيني الجميعُ ، وكانتْ هذه التسميةُ تُطْرِبُني ، وتجعَلُني أتمادَى في الألاعيبِ التي كنتُ أقومُ بها ، وكنتُ أظنُّ ذلك شَطارةً مِنّي ، وإليكمْ بعضاً ممَّا كنتُ أفعَلُه .

مرَّةً سرقتُ حقيبةَ رَفِيقنا سَميرٍ ، ووَضَعْتُها في دُرْجِ سامرٍ ، ولما اشْتَكى سميرٌ للمعلِّم وأمَرَنا بالبَحْث عنها ، أخرَجْتُهَا مِنْ دُرْجِ سامرٍ ، فاتُّهِمَ بالسَّرِقةِ ، ووبَّخهُ المعلِّمُ فبَكى خجَلاً وشعوراً بالظُّلْم ، وبينما ظَنَّ رِفاقُه أنه يَبْكي خوْفاً كنتُ

أضْحَكُ فَرَحاً لوَرْطَتِه .

مـرَّةً أُخـرى نَـثَرْتُ غُبـارَ الطباشـيرِ علـى كرسـيِّ المُعلّـمِ في الفُرْصةِ ، ووَضَعْتُ بعضَه في دُرجِ عِمادٍ الـذي عاقَبَـهُ المعلّـمُ عندما شاهَدَ ما حصلَ مُتّهِماً إياه بذلك .

أمـا مـا كنـتُ أفعَلُه في الباحـةِ فكثيرٌ جـداً ، كنتُ مثـلاً أختَطِفُ الكرةَ من أمامِ تلميذٍ صغيرٍ وأجْعَلُه يَبْكي ، أو أَمُـدُّ رِجْلي أمامَ تلميذٍ راكضٍ فأُوْقِعُهُ أرضاً ، أو أحرِّضُ رَفيقَيْنِ على الاقتتالِ ، وكنـتُ أشعرُ وأنـا أفعلُ ذلـك أنـي أشـطرُ تلميذٍ في الصفِّ والمدرسةِ .

أمَّـا في الحـارةِ ، فكـانتِ الدرَّاجـةُ هـي مجـالَ فَخْـري واعتزازِي ، ولم يكنْ أحدٌ ينجو مِنْ ألاعيبي عَلَيْها ، وإليكـم بعضاً منها .

مرَّةً وأنا أزهـو علـى دَرَّاجـتي ، رأيـتُ رَفيقَنـا عـادلاً يحمِلُ بِطِّيخَةً كبيرةً ، توجَّهْتُ نَحْوَهُ واقتربتُ منه بسرعةِ الريـحِ ،

فخافَ وحاولَ الهربَ من أمـامي ، ولكنّـه ارتبـكَ ووقعَـتِ البطيخةُ وانكسَرَتْ ، بينما انحرَفْتُ عنه مسرعاً . أو ما فَعَلْتُه مع سليمٍ الذي كان يحملُ إلى البيتِ سَطْلاً من اللَّبَـنِ عندمـا أسرعتُ إليه كمَنْ يريدُ صَدْمَه ، فخافَ وارتَبَـكَ ، وأفلـتَ سَطْلَ اللَّبَـنِ وهَـرَبَ ، فوقَـعَ السَّـطْلُ ، وانْدَلَـقَ اللـبنُ علـى الأرضِ .

أما من كان يخاطِرُ ويركبُ دَرَّاْجَتَه دون إذْني فكـانَ عِقابُـه من نوعٍ آخَرَ ، كنتُ أُسْرِعُ إليه وأحاذِيه ، ثم أسبِقُه وأضعُ الدولابَ الخلفيَّ لدرّاجتي أمام الدولابِ الأماميِّ لدرَّاجَتِـه ، فيصطَـدِمُ بـي ، ويقَـعُ علـى الأرض ، ويصـابُ برُضـوضٍ وكَدَمـاتٍ ، وحتـى ببعـضِ الكُسـورِ ، بينمـا أنطلـقُ بعيـداً مزهوًّا بذلكَ .

أحيانـاً كـانتْ هـذه الأفعـالُ تسـبِّبُ لي المتـاعبَ ، إذ كـان البعضُ يشكُوني لوالِدتي أو للمعلّمِ ، وكنتُ أنـالُ العقوبـةَ مِنْهُما ، وأَعِدُهُما بالكفِّ عَنْ ذَلِـكَ ، ولكنّي كنـتُ أعتبر

تلك الوعودَ مجرَّدَ كلامٍ فارغٍ ، قُلْته تحتَ التهديدِ .

ولكنْ جاء اليومُ الذي نِلْتُ فيه عِقابي ، ككلِّ مسيءٍ أو ظالمٍ ، وكان عقاباً قاسياً لن أنساهُ ، وإليكمُ الحادثةَ .

كان رفيقُنا فارسٌ محبوباً من أهلِ الحيِّ جميعاً ؛ فقد كَانَ يحترمُ الجميعَ ، ولا يُؤْذِي أحداً ، ولا يُكْثِرُ الكلامَ ، وكان قويَّ الجسمِ نخافَ جميعاً من مُشاجَرَتِهِ ، وكنتُ أَحْقِدُ عليه ، وأتحيَّنُ الفرصةَ لأُوقِعَ به بلُعبةٍ من ألاعيبي ، لذلكَ عندما شاهَدْتُه في ذلكَ اليومِ يركبُ درَّاجةً قلتَ في نَفْسي ((قد جاءَتِ الفرصةُ المناسبةُ)) ، لذا ركبتُ درَّاجتي وأسرَعْتُ إليه ، فراح يُسْرِعُ كلَّما اقتربتُ منه ، حتى ابْتَعَدْنا عن الحيِّ كثيراً ، وعَيْني لا تكادُ تُفارِقُه ، مترقِّباً أنْ أسبِقَه لأنحرفَ وأضعَ دُولابي الخلفيَّ أمامه لأُوقِعُهُ .

كان يبذُلُ قُصارى جُهدِهِ ؛ وأنا أبذُلُ المزيدَ ؛ ولهذا بَقينا مُتحاذِيَيْنِ فترةً ؛ ولما لاحَظْتُ أنه قد أبطأَ قليلاً ، مِلْتُ بسُرْعَةٍ خاطفةٍ إلى أمامِهِ ، وإذ بي أهوي إلى حُفْرةٍ لم أَكُنْ

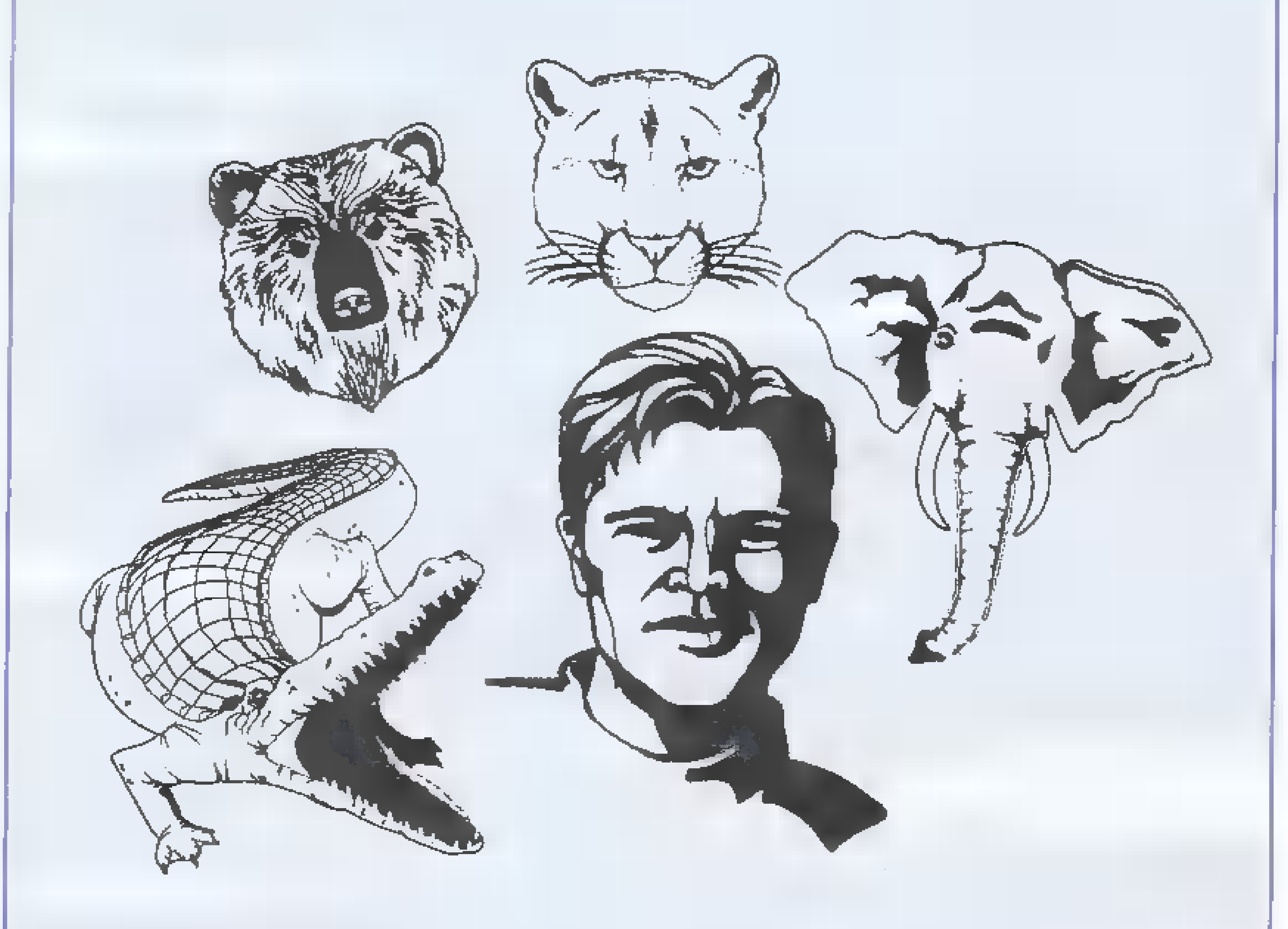
قد رأيْتُها ، وأرتطِمُ بالأرضِ مع درَّاجتي ، بينما كانَ هو قد رآها فأبطأَ واستعْمل مَكابِحَهُ بقـوَّةٍ ، فوقَفَـتْ قبلَ الوقـوع فيها .

نزلَ فارسٌ بهدوء ، ووقـفَ فوْقـي وأنـا أصْـرُخُ مـن الألمِ ، فـأخرَجَني ، ثـم أسـرعَ وأعلـمَ والـدي الـذي حَمَلَـني إلى المستشفى ، حيـث عَلِمْـتُ هنـاك ، أن رِجْلـي اليُسْـرى قـد كُسِرَت ، وأن ظَهْـري أُصيـبَ بِبَعضِ الأذى ، وأنـي لـن أستطيعَ ركوبَ الدرَّاجة لفترةٍ طويلةٍ جدًّا .

مكَثْتُ في المستشفى أياماً زارنـي فيهـا رِفـاقي الذيـن كنـتُ أُؤذِيْهمْ حاملينَ الورودَ ، يتمنّوْنَ لي الشـفاءَ العـاجلَ ، وقـد خَجِلْتُ منهم جِدًّا ، وعاهَدْتُ نَفْسي أن لا أُسِـيءَ لأحـدٍ ، منذ ذلك الوقتِ ، وأن أُوصِيَ الجميعَ بذَلِكَ .



الأغبياء



عَلى ضِفَّةِ نَهْرٍ كبيرٍ ، وتحتَ شجرةٍ كبيرةٍ ، كان يتمدَّدُ تِمساحٌ ضَخْمٌ فاغراً فَمَهُ [1] ، الدموعُ تسيلُ من عَيْنَيْهِ ،

1 - عندما يأكل التمساح فريسته ، تدخل قطع صغيرة من اللحم بين أسنانه فتؤلمه . فيتمدد على الشاطئ ويفتح فمه ، فتأتي طيور صغيرة وتنقر اللحم من بين أسنانه . ومن تألمه من هذه الوضعية تسيل دموعه .

يفكِّرُ فَرِحاً بالسمكةِ الكبيرةِ التي التَهَمَها قبلَ قليلٍ .

سَمِعَ التمساحُ هَمْهَمةً قريبةً ، فتحفَّزَ وتطلَّعَ حَوْلَه ، وإذا بالدبِّ يشربُ مِنَ النهرِ ، فلمَّا التفتَ الدبُّ إليه قَهْقَهَ عالياً وقالَ :

ـ لماذا تبكِي أيُّها التمساحُ ، هل هي زوجَتُكَ التي ضَرَبَتْكَ ؟

رَدَّ التمساحُ :

ـ لا يا صَدِيقي .. لا ، إن ما يُبكِيْني أمرٌ آخَرُ ، أهَمُّ بكثيرٍ .

وما هُو الأمرُ يا صديقي ؟ سألَ الدبُّ .

أجابَ التمساحُ :

ـ إن ما يبكيني يا صديقي هو معاملةُ الإنسانُ لنا ، إنه يقتُلُنا نحنُ التماسيحَ ، ليأخذَ جُلودَنا ويصنعُ منها أحذيةً وحقائِبَ له ، حتى إنه يستولي على بُيوضِنا أينما نَدْفِنُها في رِمالِ الشاطئِ ، وهكذا يحرِمُنا من رؤيةِ التماسيحِ الصغيرةِ حَوْلَنا ، فباللهِ عليكَ ألا يُبكي هذا ؟

قال التمساحُ هذا ، ونظرَ إلى الدبِّ ، وإذا دُموعُهُ تَنْهَمِرُ على خَدَّيْهِ ، فسأله مُسْتَغْرِباً :

ـ ولماذا تَبْكي أنتَ أيها الدبُّ ؟

أجابَ الدبُّ :

ـ لقَدْ ذَكَّرْتَني أيها التمساحُ بما نُلاقِيه نحن الدِّبَبَةَ مِنْ هذا الإنسانِ ، إنه يقْتُلُنا أيضاً ليَصْنَعَ من جُلُودِنا معاطفَ له أو حتى يجلسَ عليها ، أأنا الدبُّ يُصبِحُ جِلْدي بِساطاً لغَيْري ! آه .. لو وقعَ بينَ يَديَّ هذا الإنسانُ لقَطَّعْتُهُ إرْباً .. إرْباً .

ما إن أنهى الدبُّ كلامَه ، حتى كان الفيلُ قد جاءَ يمشي كَدبَّابةٍ كبيرةٍ ، فلما سَمِعَ آخِرَ ما قالَهُ الدبُّ سألَ بصوتٍ ضَخْمٍ :

ـ مَنْ هو هذا الذي تُريدُ تَقْطِيعَه أيها الدبُّ ، هل هو الثعلبُ قد سَخِرَ منكَ مَرَّةً أُخرى ؟

رَدَّ التمساحُ :

ـ لا أيها الفيلُ الكبيرُ ، إننا نتحدَّثُ عن الإنسان الذي يُنَغِّصُ علينا حَياتَنا .

صاحَ الفيلُ :

ـ لا تحدِّثوني عن هذا المخلوقِ ، إني أكْرَهُه وأحْقِدُ عليه ، لأنه يقتُلُنا نحن الفِيَلَةَ ليأخذَ عِظامَنا .

سأل الدبُّ :

ـ كَمْ هو مؤذٍ شريرٌ ، ماذا تُفيدُه العِظامُ ؟

أجابَ الفيلُ :

ـ لَقَدْ قالوا إنه يَصْنَعُ منها كُراتٍ يَلْعَبُ بها ، أو تَماثيلَ صغيرةً يزيِّنُ بها بُيوتَه ، آه لو وَقَعَ بين يديَّ هذا الإنسانُ ، لضَرَبْتُهُ بالأرضِ وسَحَقْتُه بأقدامي .

كان النَّمِرُ متمدِّداً على غُصْنِ الشجرةِ فوقَهُمْ يَسْتَمِعُ إلى الحديثِ الجاري تَحْتَه ، فلما أنهى الفيلُ كلامَه جلسَ وقالَ :

ـ وأنـا معكُـمْ ضِـدَّ هـذا الإنسـانِ ، إنه يقتُلُنـا نحـنُ النمـورَ أيضاً ، وبجلودِنا ورؤوسِنا يزيِّن بُيوتَه ، آه لـو قَبَضْـتُ على هذا الذي جَعلَ النِّمِرَ لُعبة وزِيْنةً .

في هذِهِ الأثناءِ ، عَطِشَ الحَطَّابُ النشيطُ الـذي كـان يقتَطِعُ بعضَ الأشجارِ اليابسةِ ، فجاء إلى النهرِ ليشربَ ، وسـرعانَ ما لَمَحَه النمرُ ، فزَمْجَرَ وقفزَ إلى الأرضِ وقال :

ـ ها هُو الإنسانُ قد جاءَ ، فهيَّا للانتقامِ .

بسرعةٍ أحاطَ الجميعُ بالحَطّابِ الذي ارتَجَفَ خوْفاً ، ولكنّـه تمالكَ نَفْسَه بسرعةٍ ، ثم استفسرَ :

ـ ما بِكمْ أيها الأصدقاءُ ؟ لماذا أنتم غاضِبونَ هكذا ؟

ردَّ التمساحُ بقسوةٍ : نحنُ لسنا أصدقاءَك أيها الإنسانُ .

سـأل الحطّـابُ : ولِـمَ أيهـا التمسـاحُ ؟ هـل أسـأتُ إلى أحدكُم ؟ لقد كنتُ دائماً صديقَ الجميعِ .

قال النِّمِرُ : أنتَ لستَ بصديـقٍ لأحَدٍ ، أنـت تقتُلُنـا ، لـذا

قَرَّرْنا الانتقامَ ..

رَدَّ الحطّابُ :

ـ ولكنّني لم أقتلْ أحداً في حياتي ، رُبَّما كنتمْ تقصِدُون ذلك الإنسانَ الغريبَ الذي يأتي مِنْ وراءِ البحارِ ، فيقْتُلُكم وَيأخذُ عِظامَكُم وجُلودَكم .

قال الدبُّ :

ـ لا يُهِمُّ ، لا يُهِمُّ ، المُهِمُّ أننا نريدُ الانتقامَ من الإنسانِ ، وها أنت إنسانٌ أمامَنا . لا فائِدَةَ ...

قال الحطابُ : الدبُّ يَبْقَى دُباً ..

هَمْهَمَ الدبُّ : أَتَشْتُمُني أيها الإنسانُ ؟ انتظرْ حتى أُمزِّقَكَ .

قال الحطابُ يخاطِبُ الفيلَ :

ـ وأنتَ أيضاً تريدُ قَتْلي أيها الفيلُ العاقلُ ؟

أجابَ الفيلُ : نَعَمْ فأنا أيضاً أحْقِدُ على الإنسانِ ، لأنه مُنذ أيامٍ قليلةٍ قتلَ أخي ..

بعد لحظةٍ تفكيرٍ سألَ الحطّابُ :

ـ لماذا لا تَدَعُوني أذهبُ ؟ إن صغاري ينتظرونَ عَوْدَتي .

ردَّ الجميعُ :

ـ لا تُكْثِرِ الكلامَ .. سَنَقْتُلُكَ حتماً ، ولن نتراجعَ عن قَرارِنا .

فَكَّرَ الحطَّابُ بالهربِ سِباحةً فقالَ :

ـ إذا كان الأمرُ هكذا ، فاسْمَحُوا لي أن أشربَ مِن النهرِ ، فأنا ظامئٌ .

قال الفيلُ :

ـ هيَّا اشربْ بسرعةٍ ، وإياكَ الهربَ سِباحةً .

قال التمساحُ ساخراً : فَلْيُجَرِّبْ نَفْسَه ، سأقبِضُ عليه فَوراً إن حاولَ .

بينما كانَ الحطابُ يشربُ بَرَقَتْ بذِهْنِه فِكْرةٌ ماكرةٌ ، فالتفتَ وخاطَبَهم سائلاً :

ـ هل قَرَّرْتُم مَنِ الذي سَيَقْتُلُني ؟

ـ أنا .. أنا .. صاحَ التمساحُ .

رَدَّ الدبُّ :

ـ اسكُتْ يا هذا ، فأنا أريدُ أن أشفيَ غَليلي منه .

ـ بل أنا الذي سأُحَطِّمُه وأُمزِّقُه ، زمجرَ النمرُ .

صاح الفيلُ :

ـ وهل نسيتَ أيها النِّمِرُ أنـي هنـا ، وأنـي أريـدُ أن أسْحَقَه بأقدامي ؟

اختلفَ الأربعةُ بعدَما كانوا متَّفِقيـنَ ، وهَمْهَمـوا وزَمْجَـروا غـاضِبينَ ، كُـلٌّ يريـدُ قتـلَ الحطـابِ . وأسـرعَ الـدبُّ إلى الحطابِ ليَقْتُلَه مغـافلاً رِفاقَـه ، ولكـنَّ التِّمسـاحَ رآه فعـضَّ رِجْلَه بقوةٍ وجَرَّه نحوَ الماءِ ، فالتفتَ الدبُّ إليه وانهالَ علـى رأسِه بقَبْضاتِهِ القويةِ ، بينَما كانا يَغُوصانِ في الماءِ .

اغتنمَ الفيلُ الفرصةَ فسارَ نحوَ الحطابِ ، ولكنَّ النمرَ قفزَ إلى

ظَهْرِه وأَنْشَـبَ فيـه أظفـارَه وأنيابَـه ، فاسْتلقى الفيـلُ على ظَهْـرِه وهـو يَصْـرُخُ مـن الألِـم . فسَـحَق النمـرَ تحـتَ ثِقَلِـهِ الهائلِ ، ولكنّه لما أرادَ الوقوفَ بعـدَ ذلـكَ سُـرْعانَ مـا وقـعَ على الأرضِ جُثّةً هامدةً ، بسببِ الدماءِ الكثيرةِ الـتي نزَفـتْ مِنَ الجروحِ العميقةِ التي أصابه بها النمرُ .

نظـرَ الحطـابُ إلى جُثّتَـي النمـرِ والفيـلِ ، ثُـمَّ رأى جُثّتَـي التمساحِ والدبِّ طافِيَتَيْنِ فوقَ الماءِ فاطمأنَّ وعَـرَفَ أنـه قـد نجا مِنهُم بفِكْرَتِه الماكرةِ ببَثِّ الفُرْقةِ والـنزاعِ بينَهُـمْ . وقبـلَ أن ينصرفَ قالَ :

ـ قبلَ أن تُفكّروا بالانتقامِ مِنَ الإنسانِ الذي يَقْتُلُكم ويَسْـلَخُ جُلودَكُم ، فَكّروا بعَدَمِ الاختلافِ والتنـازعِ وقتـلِ بَعْضِكُـم بعضاً أيُّها الأغْبياءُ .



ماذا فَعَلَ اللّصُّ



في قريةٍ بعيدةٍ ،
كان يعيشُ فلاّحٌ
فقيرٌ ، وكان أباً
لطِفْلٍ جميلٍ ،
وعندَه نعجةٌ
واحدةٌ تُعطِيْهِما حليباً لذيذاً .

ذاتَ يومٍ مَرِضَ الطفلُ ، فباعَ والدُه النعجةَ ، حتى يداوِيَهُ عِندَ الطَبيبِ في المدينةِ ، لأنَّه ليس في قَرْيَتِهِمْ طبيبٌ .

في الليلِ ، تسلّق لِصٌّ خبيثٌ الجدارَ ، ودخلَ دارَ الفلاحِ ، وبهدوءٍ سَرَقَ النقودَ وخَرَجَ مُسْرِعاً . سار اللصُّ بعيداً حتى تَعِبَ ، وَقَفَ ونظرَ خَلْفَه فلمْ يَجِدْ أحداً يَتْبَعُهُ ، تطلّعَ حولَه فشَاهدَ شجرةً كبيرةً ، تُخيِّمُ على نَبْعٍ صافٍ تسيلُ مياهُهُ في

جَدْولٍ صغيرٍ ، تحُفُّ به الأزهارُ . أُعجبَ اللصُّ بهذا المنظـرِ الجميلِ ، فتمدَّدَ تحتَ الشجرةِ ليرتاحَ ، وبعـدَ لحظـاتٍ غَلَبَه النعاسُ فنامَ .

بعد قليلٍ أشرقَتِ الشمسُ ، وأرسـلتْ أشعَّتَها الذهبيةَ تُنيرُ كـلَّ شيء ، فاسـتيقظتِ الشـجرةُ ، وحرَّكَـتْ أوراقَهـا بنعومةٍ ، وأفاقَ النبعُ وأرسـلَ مياهـاً صافيـةً للجـدول الـذي استقبَلَها بترْحـابٍ ، وحَمَلَهـا إلى الزهـورِ علـى ضِفَّتَيْـهِ ، فتمايَلتِ الزهورُ فَرَحاً وأرسـلتْ عِطْرَهـا الفـوَّاحَ في الجـوِّ ، فلمَّا شَمَّها بلبلٌ كان على الشجرةِ ، فَرِحَ كثيراً وراح يُغنّـي ألحاناً عذبةً .

أفاق اللصُّ وتطلَّعَ حَوْلَـه خائفـاً ، واطمـأنَّ عندمـا لم يَجـدْ أحداً ، فسار إلى النبـعِ ليشـربَ ، ولكـنْ وفجـأةً تغيَّرَ كُـلُّ شيءٍ ، غارَتْ مِياهُ النبعِ ، وتَجهَّمَ وَجْهُ الجَدْوَلِ ، والزهـورُ حَبَسَتْ عِطْرَها ، والشجرةُ قَلَصَتْ ظِلَّهـا ، أمـا البلبـلُ فقـدْ توقّفَ عَنِ الغِنَاءِ .

استغربَ اللصُّ ما حَصَلَ ، وما كاد يتساءَلُ عن السببِ ، حتى سَمِعَ صوتاً يخاطِبُه قائلاً :

ـ اسمعْ يا هذا ، أنا النبعُ أُعطي مياهِي لكلِّ المارَّة دونَ أجْرٍ ، إلاَّ اللصوصَ فأنا أكْرَهُهُمْ . وأكملَ صوتٌ آخَرُ :

ـ وأنا الجَدْوَلُ أنقلُ الماءَ للزهورِ تطوُّعاً . وهذه الأزهارُ تَنشُرُ عَبيرَها دون حِسابٍ في الجوِّ .

وصاح البلبلُ :

ـ وأنا أُغنِّي للجميعِ دونَ مقابلٍ .

وصاحتِ الشجرةُ بغَضَبٍ :

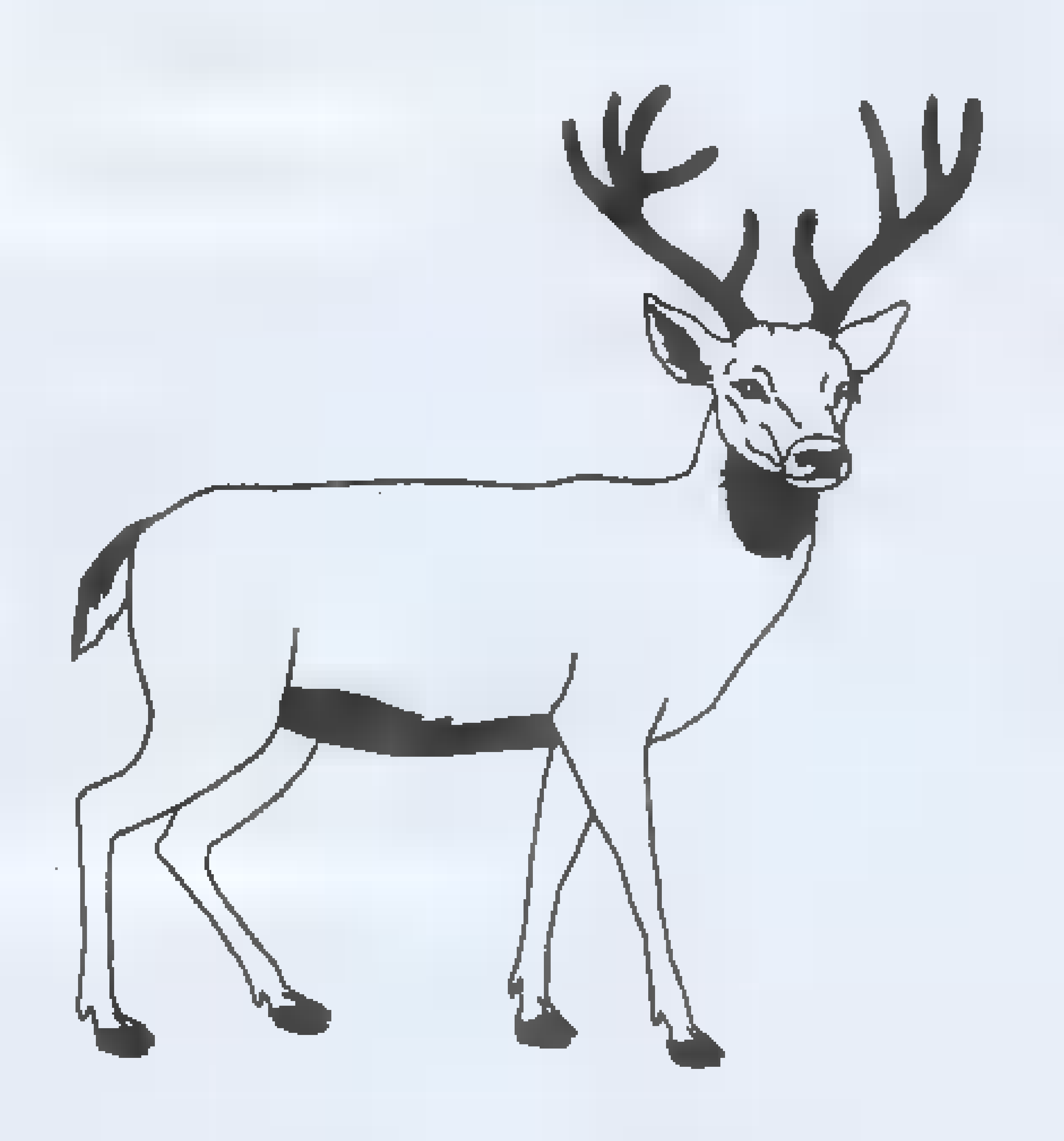
ـ نحنُ جميعاً أيها اللصُّ نُعْطي لكلِّ مَنْ يمرُّ هنا دون مُقابلٍ ، الناسُ والحيواناتُ والطيورُ ، تأتي وتشربُ وترتاحُ ، ثم تسيرُ في طريقِها ، لا نطلبُ من أحدٍ أجراً ، لأننا نكرهُ الذين لا يُعطون إلا بثمَنٍ ، أما الذين يَسْرِقون أتعابَ الناسِ ، ويَزْرَعُونَ الحزنَ في النفوسِ ، فإننا لا نريدُ النظرَ في

وُجُوهِهِمُ الخبيثةِ ، فاغْرُبْ عَنَّا ، وأرِحْنا مِنْ رُؤْيةِ وَجْهِكَ اللعينِ . هزَّ الجميعُ رُؤُوسَهُمْ مُوافِقينَ ، وخَبَأَ كلٌّ منهم وَجْهَهُ حتى لا يَرَى وَجْهَ اللصِّ اللعينَ . نظرَ اللصُّ إليهِمْ بغَضَبٍ ، وقَهْقَهَ بعصبيةٍ ، ثم شَتَمَ الجميعَ وقالَ :

ـ اللعنةُ عليكُمْ ، تتحدَّثونَ عن الخَيْرِ وما إلى ذلكَ ، أما أنا فلا يُهِمُّني إلاّ النقودُ . قال اللصُّ هذا وتحسَّسَ كِيسَ النقودِ المسروقةِ ، وابتعدَ لاعِناً الجميعَ ، غيرَ آبهٍ بأحدٍ حتى ولا بالطفلِ المريضِ الذي كانَ يَئِنُّ في فِراشِهِ ، والأبِ الذي كانَ يَبْكي بجانِبِه لأنه لا يستطيعُ إحضارَ الدواءِ لَهُ .



الأقْوَى



تَناطَحَ وَعْلانِ في غابـةٍ ،
كُـلٌّ مِنْهمـا يدَّعـي أنـه
الأَقوى والأجدَرُ بزَعامـةِ
القطيـعِ ، وبعـد عِـراكٍ
طويـلٍ تشـابكَتْ فيــه
قُرونُهمــا ، وســالتِ
الدمـاءُ مـن جراحِهِمـا ،
هُزِم أحدُهما وانتصرَ الآخرُ .

فأمَّا المهزومُ فقد انسحَبَ إلى زاويةٍ من الغابةِ ليستريحَ ويَلْعَقَ جراحَه ، وأما المنتصرُ فراحَ يَخْتَالُ بينَ أفرادِ القطيعِ مُتباهياً بقوَّتهِ مغترّاً بها ، مهدِّداً مَن قد يَجْرُؤ على تحدِّيْهِ .

رآه وَعْلٌ مسنٌّ على تلك الحالِ ، فقالَ :

ـ يا لهذا المسكينِ ، من حُمْقِه وغُرُورِه سيكون مصيرُه مؤلماً ومحزناً إن لم يَتعقَّلْ .

واستمرَّ الوَعْـلُ في تبختُرِه وتباهِيْـه ، وراح يمشـي في الغابـةِ منفرداً في جَنَباتِها مبتعـداً عـن القطيـعِ كثيراً ، سـاخراً مـن نصائحِ الكبارِ بعدمِ الابتعادِ عن القطيعِ قائلاً :

ـ بقَرْنَيَّ القويين أستطيعُ الإطاحةَ بكلِّ مَن يقتربُ منّي !

ولكنْ ، وفي يـومٍ ليس بـالبعيدِ ، حـدَثَ مـا توقَّعَـهُ الوَعْـلُ المسنُّ ، ففي ذلك اليومِ كـان نَمِـرٌ جـائِعٌ يتجـوَّلُ في الغابـةِ باحثاً عن فريسةٍ يُسْكِتُ بها ألم مَعِدَتِهِ الجائعـةِ ، فلمّـا رأى الوعلَ منفرداً بعيداً عن قطيعِهِ استبشرَ بالشِّـبَعِ وتربَّـص بـينَ الأعشـابِ منتظـراً اللحظـةَ المناسـبةَ للانقضـاضِ عليـه .

وسَرْعانَ ما اقتربَ الوعلُ غيرَ شاعرٍ بالخطرِ الذي يتهـدَّدُه ، وبسرعةٍ خاطفةٍ انقضَّ النَّمِرُ علَيْهِ وقَتَلَه ، وراح يَلْتهِمُ لَحْمَهُ بشَهِيَّةٍ ، مُدَمْدِماً مفتخِراً : يالي من قويٍّ جبَّـارٍ ، لقـد قتلتُـهُ بضَرْبَةٍ واحدةٍ من كفّي القويةِ ، وعَضَّـةٍ واحـدةٍ مـن أنيـابي

الحادَّةِ ، أنا الأقوى في هذِه الغابةِ ، والوَيْلُ لَمَنْ يتحدَّاني !

أكلَ النَّمِرُ من لَحمِ فريستِهِ حتى شبعَ ، ثم انسحبَ إلى ظِلِّ شجرةٍ قريبةٍ وتمدَّد ليرتاحَ .

بعدَ قليلٍ مرَّ بالمكانِ فِيلٌ ضَخْمٌ تسبِقُه ناباهُ المُدَبَّبانِ القويَّان ، وخُرطُومُه الطويلُ الثخينُ ، كان ذاهباً إلى النبعِ ليَرْوِيَ عَطَشَه ، وكان يمشي مُتَمَهِّلاً هادئاً غيرَ آبهٍ بأحدٍ ، فلمَّا مرَّ بجانبِ النمرِ لم يكترثْ له ، فغَضِبَ هذا وصاحَ قائلاً :

ـ لماذا لم تقدِّمْ لي التحيةَ والاحترامَ ؟ ألا تدري أنَّني الأقوى هُنا ؟

ردَّ الفِيلُ بهدوءٍ وسُخريةٍ :

ـ أرجو المعذرةَ ، فأنا لم أشاهِدْكَ أولاً ، وثانياً لم أتشرَّف بمعرفةِ أنكَ الأقوى في الغابةِ كي أقدِّمَ لكَ آياتِ الطاعةِ والاحترامِ .

صاح النمرُ من جديدٍ :

ـ أتسخرُ مني ، أيها الغبيُّ ، صَدَقَ مَن قالَ إنكَ ضَخْمُ الجثةِ فارغُ الرأسِ .

ردَّ الفيلُ :

ـ أرجو أن تعلمَ بأني لا أقبلُ الإهانةِ من أيٍّ كانَ ، فاعتذرْ مني حالاً .

ـ وتهدِّدُني أيها الغبيُّ ؟ الويلُ لَكَ .

ـ بل الويلُ لكَ أنتَ إن اقتربتَ مِنّي .

وقبلَ أن يُنهيَ الفيلُ جُملَتَهُ ، كانَ النمرُ قد قفزَ على ظَهْرِه ، ولما كان الفيلُ ضَخْماً وعالياً ، لم يَصِلِ النمرُ إلا إلى خاصِرَتِهِ ، فأنشبَ مخالِبَه وأنيابَه فيها .

اضطربَ الفيلُ وحاول إمساكَ النمرِ بخُرْطومهِ الطويلِ ، فلمَّا لم يستطعْ ، أسرعَ إلى جِذْعِ شجرةٍ ضخمةٍ قريبةٍ ، أسندَ النمرَ إليها وراح يضْغط عليه بكلِّ قوَّتِهِ .

صرخ النمرُ متألماً عندما شعرَ بتكسُّرِ عِظامِـه ، ثـم ارتَخـتْ أطرافُه وسقطَ على الأرضِ عندمـا ابتعـدَ الفيـلُ عـن الجِـذْعِ قليلاً ، ولكنَّ الفيـلَ ولشـدةِ غَضَبِـه لم يكتـفِ بذلـكَ ، بـل داسَـه بأرْجُلِـه الضخمـةِ ولم يترُكْـه إلا بعدمـا أصبـحَ جُثَّـة محطَّمةً هامدةً .

وهنا قالَ الفيلُ مفاخراً معتزاً :

ـ الأحمقُ كان يظنُّ نفسَـه الأقـوى ، نسـي أنَّـني هُنـا ، لقـد حَطَّمْتُه بسهولة ، إنه يستحقُّ ذلكَ .

ولم يكنِ الفيلُ يدري أنَّ صيَّاداً قـد جـاء مـن بِـلادٍ بعيـدةٍ ، يـتربَّصُ هنـاك مـع مُسـاعِدِيْهِ ، منتظـراً قـدومَ فِيْـلٍ أو نَمِـرٍ ليصطادَهُما ، طَمَعاً في أنيابِ الفيلِ وجِلْدِ النَّمِرِ .

عندما رأى الصيادُ الفيلَ مقترباً ، تنـاولَ البندقيـةَ ، وبهـدوء سدَّدها إلى جَبِيْنِهِ ، ثم أطلقَ النارَ ، فترنَّحَ الفيلُ قليـلاً ، ثـم هَوَى على الأرضِ جُثَّةً هامِدَةً !

اغترَّ الصيادُ بمهارَتِهِ ودِقَّتِه في الإصابةِ ، وأخذَهُ الغُرورُ ، فمشى إلى صَيْدِهِ مَزْهواً وهو يُرَدِّدُ :

ـ لقد قَتَلْتُهُ بطلقةٍ واحدةٍ ، ليس هناك مَن هُو أمهرُ منّي ، أنا الأفضلُ ! .

وبعد أن تفحَّص الفيلَ القتيلَ بنظراتِه ، وفرحَ لضخامةِ أنيابِه ، أصدرَ أوامِرَه لمساعِدِيْه ، وجلَسَ في ظلِّ شجرةٍ قريبةٍ يَرْقُبُهم .

في تلك الساعةِ اقتربتْ بعوضةٌ خبيثةٌ صغيرةٌ ، لا تكاد تُرَى بسهولةٍ لصِغَرِها ، حطّت على رَقَبَةِ الصيادِ ووَخَزَتْه وراحتْ تمتصُّ دَمَه بشهيةٍ ، وتنقلُ إليه الجراثيمَ التي تحمِلُها في الوقتِ نَفْسِه . وعندما شعرَ الصيادُ بوَخْزَتها ضربَ المكانَ بكفِّه فقتَلَها ، ثم مسَّدَ مكانَ الوخزةِ ولم يأبَهْ لذلكَ .

في تلك الليلةِ ، وبعدما أوى الصيادُ إلى مُعَسْكَرِهِ دَهَمَتْهُ

حُمَّى خفيفةٌ ، اشْتدَّتْ في الليالي التاليةِ حتى صار يرتجفُ بشدّة ويَهذي بكلماتٍ غيرِ مفهومةٍ ، والعَرَقُ يتصبَّبُ غزيراً من أنحاءِ جَسَدِهِ .

كانَ يَبْدو ضَعيفاً جداً وبائساً يُرْثى لحالِهِ ، وكأنّه لم يكنْ ذلك الذي كانَ يَتَباهى بقوَّتِهِ ومهارَتِه عندما قَتَلَ الفِيْلَ !

شعر مُساعِدُوه بخطورةِ حالَتِهِ ، فحَمَلوه إلى أقربِ مُستشفى حيثُ استقبَلَه رجلٌ يلبَسُ رِداءً أبيضَ نظيفاً ، كان رَجُلاً عادياً لا يختلفُ عن أيِّ رَجُلٍ نَراه في شارعٍ عامٍّ ، وبهدوءٍ ، تفحَّصَ جَسَدَ الصيادِ وقاسَ حَرارَتَه ، ثمَّ وَخَزَ إصْبَعَه بإبرةٍ مُعَقَّمَةٍ ، أخذَ مِنْها قطرةَ دمٍ صغيرةً ، فَحَصَها مَليًّا تحتَ المِجْهَرِ ، ثم هزَّ رأسَه .

والتفتَ إلى الرجالِ الذين أحْضَروا الصيادَ ، وقالَ :

ـ سببُ مرضِه ناتجٌ عن لَسْعةِ بعوضةٍ صغيرةٍ سامَّة ..

فعلمَ مُرافِقُوه أنها نتيجةُ الاستهتارِ والتبجُّحِ وعدمِ

الاكتراثِ ..

وناولهم الطبيبُ ورقةً عليها اسمُ الدواءِ الشافي ، ومَضَى إلى عَمَلِه بكلِّ جِدٍّ ونشاطٍ .



عَداوةٌ قَدِيمةٌ



في زمنٍ قديمٍ مَضَى ، وفي غابةٍ بعيدةٍ ، وفي كُوْخٍ جميلٍ ، كان يعيشُ قِطٌّ وكلبٌ ودُبٌّ ، جمَعَتِ الأيامُ بينَهم ، فتصادَقوا وتعاهَدوا على العيشِ معاً بالحبِّ والتعاون .

تقاسم الثلاثةُ العملَ بينهم ، القطُّ تعهَّد بالطبخِ وتنظيفِ

الكوخِ ، والكلبُ تكلّف بالعملِ في الحقلِ وجمعِ الثمارِ من الغابةِ ، أما الدبُّ فكان نَصيبُه ، جلبَ العسلِ والصيدَ من الغابةِ .

كان كلٌّ واحدٍ منهم يقوم بعَمَلِه بنشاطٍ وفَرَحٍ ، وكانوا في المساءِ يجلِسُونَ ويتسامرونَ ، يَرْوُونَ لبَعْضِهم الحكاياتِ الجميلةَ ، وفي موعدِ النومِ كانوا ينامونَ ، وفي الصباحِ الباكرِ كان كلٌّ منهم ينطَلِقُ إلى عَمَلِه بهِمَّةٍ ونشاطٍ .

كانَتْ حياةُ الثلاثةِ مثلاً للسعادةِ والهناءِ ، وكان حُبُّهم وتعاونُهم قد أصبحَ مشهوراً في الغابةِ وما حَوْلَها .

وفي أحدِ الأيامِ ، جاء إلى الغابة بائعٌ مُتَجَوِّلٌ ماكِرٌ ، يَبيعُ عُقودَ الخَرَزِ ، والمناديلَ الملونةَ والحَلوى والسكاكرَ ، وراح يُنادي على بِضاعتِهِ قربَ كُوخِ الأصدقاءِ الثلاثةِ .

جاء بعضُ سُكانِ الغابةِ ليشتروا مِنْه ، النَسْناسُ اشترى كميةً من السكّرِ ، والقِرْدُ اشترى بعضَ الحَلْوى ، أما السُّلحفاةُ

فقد اشترَتْ مِنْديلاً ملوَّناً جميلاً ، والبلبلُ اشترى مِزْماراً ، أما الغُوريللا فقد اشترَتْ عِقْداً جميلاً من الخَرَزِ الملوَّنِ ، وحتى القطُّ خرجَ من الكوخِ واشترى بعضَ الحلوى .

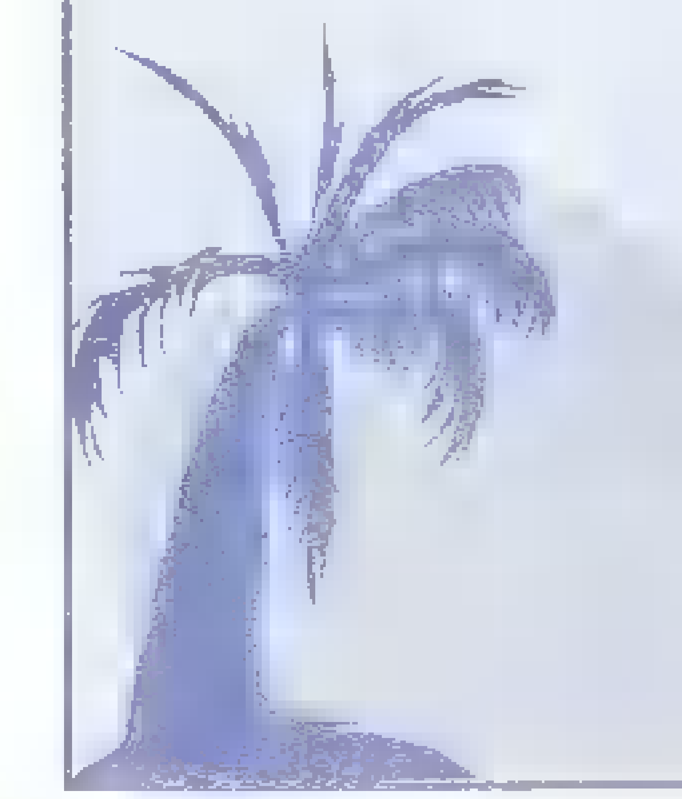
عندما عادَ الكلبُ والدبُّ مساءً ، كان البائعُ وَحْدَه قربَ الكوخِ ، لأنَّ الكُلَّ كانوا قد اشترَوْا وانصرَفوا ، فدعَوْه للمبيتِ عِنْدَهم رأفةً به .

بعدما أكلَ الجميعُ وتحادَثُوا بأحاديثَ مختلفةٍ ناموا ، وفي الصباحِ الباكرِ نهضوا إلى أعمالِهم كالعادةِ ، فانطلقَ الدبُّ بعيداً في قلبِ الغابةِ ، وذهبَ الكَلْبُ للعملِ في الحقلِ ، وراح القِطُّ ينظِّفُ البيتَ ويُرَتِّبُه .

استغلَّ البائعُ المتجوِّلُ الماكرُ الفرصةَ ، واقتربَ من القِطِّ وخاطَبَه قائلاً :

ـ أأنتَ تقومُ دائماً بهذا العملِ ؟

أجابَ القِطُّ باقتضابٍ : نَعَمْ .



سأل البائعُ متعجباً :

ـ ألا تتبادلونَ العملَ بينكُمْ ؟

أجابَ القِطُّ :

ـ لا ... فلماذا نتبادلُ ما دام كُلٌّ منا مسروراً بعَمَلِه .

قال البائعُ الذي كان ينوي أن يفرِّقَ بينهم :

ـ الحقيقةُ ، لا يحِقُّ لي أن أسألَ عن أشياءَ لا تَخُصُّني ، ولكنْ أحببتُ أن أعلمَ ، هل يسودُ العَدْلُ بينَكُمْ ؟

سألَ القِطُّ :

-وكيف يكونُ العَدْلُ أيُّها البائعُ ؟

ردَّ البائعُ :

ـ العدلُ أن لا يعملَ أحَدُكُم أكثرَ من غيرِه .

سأل القِطُّ : وهل يعمَلُ أحدُنا أكثرَ مِنْ غَيْرِهِ ؟

أجابَ البائعُ :

ـ لا ... لا ... لا أدري ، لا يُهِمُّ ، لا يُهِمُّ ما دمتمْ

متّفقينَ ، لَعَنَ اللهُ الشيطانَ ، مـالي ولِلْعـدلِ وهـذه الأمـورِ ، المُهِمُّ أنكم مُتّفقونَ وكَفَى .

أصرَّ القِطُّ مستفسراً :

ـ باللهِ عليكَ قُلْ لي أيها البائعُ ، هل يعملُ أحَدُنـا أكـثرَ مِـنْ غَيْرِه ؟

ردَّ البائعُ بمَكْرٍ :

-ألا تعتبرُ كلامي تدخُّلاً في شؤونكم ؟

أجابَ القِطُّ :

ـ لا ، لا ، تفضَّلْ .

قال البائعُ :

ـ إذاً سأتكلَّمُ ، وَلْتَعْلَمْ أيُّها القِطُّ المِسكينُ أنـكَ تعمـلُ أكـثرَ من غَيْرِكَ بكثيرٍ ، ألا تعلمُ كم هو صعبٌ عملُكَ في ترتيـبِ البيـتِ وترتيـبِ الأثـاثِ وغسـلِ الأوانـي ، والطبـخِ بينمـا يتجوَّلُ الدبُّ في الغابةِ وفي طريقِه أثناءَ العودَةِ يجلِبُ بعضَ

العَسَلِ ، أمَّا الكلبُ فيتسلَّى في الحقلِ ثم يتنزَّهُ في الغابةِ وأثناءَ العودةِ يحمِلُ بعضَ الثمارِ .

لعبَتْ كلماتُ البائعِ الماكرِ بعَقْلِ القِطِّ الصغيرِ ، وبعدِ لحظةِ تفكيرٍ سألَ :

- وكيفَ نُقيمُ العدلَ أيها البائعُ ؟

ردَّ البائعُ :

- تتبادلونَ العَمَلَ فيما بينَكُمْ كُلَّ فترةٍ ، وبذلك لا يَظْلِمُ أحدُكُم غيرَه .

قال البائعُ هذا وودَّع القطَّ ورَحَلَ ، وهو يأمُلُ أن تكونَ كَلماتُه قد أثَّرَتْ في عَقْلِ القِطِّ ، ومن ثَمَّ سيستطيعُ تحقيقَ هَدَفهِ بالتفريقِ بينَ الثلاثةِ .

حينما عادَ الكلبُ والدبُّ مساءً إلى البيتِ ، وبعدما استراحوا وأكلوا ، جلسَ القِطُّ عابساً لا يتكَلَّمُ ، فلمَّا سألوه عن سببِ عبُوسهِ ابتدَرَهُم قائلاً :

ـ إذا كنتما تُحِبانِ الحفاظَ على صداقَتِنا وتعاوُنِنا ، يجبُ أن نتبادلَ أعمالَنا فيما بيننا ، فليس من العَدْلِ أن أعملَ أكثرَ منكُما ، لقد عرفتُ الآنَ أني مظلومٌ مَعَكُما .

سألَه الكَلْبُ :

ـ وكيفَ عرفتَ ذلك أيها الصديقُ ؟

أجاب القِطُّ : ليس المهمُّ كيف عرفتُ ، لقد عرفتُ وكَفَى.

استفسَرَ الدبُّ : أعرفتَ ذلك بنفسِكَ ، أم أخبَرَكَ به أحدٌ ، وهل هو البائعُ المتجوِّلُ ؟

أجاب القِطُّ :

ـ كُلُّ هذا لا يُهِمُّ ، المُهِمُّ هو هل ستتبادلونَ العملَ معي أم لا ؟

قال الكلبُ :

ـ وهل تستطيعُ العملَ بالحقلِ أو الصيدَ وجَلْبَ العسلِ ؟

ردَّ القطُّ :

ـ أستطيعُ القيامَ بأيِّ عملٍ ، المُهِمُّ أن لا أكونَ مظلوماً .

عرف الكلبُ والدبُّ أنْ لا فائدةَ من المناقشةِ ، ورغبةً مِنْهما في المحافظةِ على الصداقةِ والمودَّةِ ، قَبِلا طلبَ القطِّ .

وهكذا ، استلمَ الدبُّ مُهِمَّةَ تنظيفِ البيتِ والطبخِ ، والكلبُ مهمةَ الصيدِ وجلبِ العسلِ ، أما القطُّ فقد استلمَ عَمَلَ الحقلِ ، وفي الصباحِ قام كُلٌّ منهم إلى عَمَلِه .

عندما جاء الليلُ ، واجتمعَ الثلاثةُ ، كان العُبوسُ يُغطّي وجوهَهُم بسببِ ما جَرَى لكلٍّ منهم ، فالدبُّ أثناءَ عَمَلِه كَسَرَ كثيراً من الأواني ، وحطَّمَ بعضَ الأثاثِ أثناء تنظيفِهِ ، بالإضافةِ إلى أن العَشاءَ الذي أعدَّه كان سيئاً جداً . والقطُّ كان مُنْهَكاً منَ العملِ في الحقلِ ، ولكنّه كان يُخْفي آلامَه ، أما الكلبُ فكانَتْ تكفِيه آلامُ لَسَعاتِ النَّحْلِ التي نالها ، عندما حاول الحصولَ على العَسَلِ .

في اليومِ الأولِ لم يتذمَّرْ أحَدٌ ، ولكنْ بعدَ عِدَّة أيـامٍ وعندمـا رفضَ القِطُّ العـودةَ إلى عَمَلِـه السابقِ ، بـدأتِ المشـاجراتُ تَنشَبُ بينهم ، وهذا ما كان البائعُ المتجَـولُ ينتَظِـرهُ بفـارغِ الصبرِ . أسرعَ البـائعُ إلى القـطِّ في الحقـلِ ، وطلـبَ منـه أن يَنْفَصِلَ عن أصدقائهِ ، ويذهبَ معـه إلى بيتـه حيـثُ الراحـةُ والسـعادةُ ، وبسـرعةٍ وبـدونِ تفكـيرٍ وافـقَ القِـطُّ وتـركَ أصدقاءَه وذهبَ إلى بيتِ البائعِ المتجولِ .

بعدَ فترةٍ ذهبَ البائعُ وقابلَ الكلبَ ، وعرضَ عليـه الانتقـالَ إلى بيته ، ولأنَّ الكلـبَ كـان متذمِّـراً مِـنْ عَمَلِـه وكثرَتِـه ، وخاصةً بعدَ رَحيل القِطِّ ، وافقَ على طَلَبِـه وانتقـلَ معـه إلى بيتهِ ، حيث عاشَ أياماً مع القطِّ بدونِ عملٍ .

ذهب البائعُ مرةً أُخرى إلى الغابة ، حيث قابلَ الدبَّ وطلبَ منه الانتقالَ إلى بيتهِ مثلَ أصدقائِه .

سأل الدبُّ :

ـ ولماذا تريدُ مني الذهابَ إلى بيتِكَ أيها البائعُ ؟

أجاب البائعُ :

ـ لأوفِّرَ لك الراحةَ والسعادةَ .

سأل الدبُّ :

ـ ولماذا أيها البائعُ الكريمُ ؟

ردَّ البائعُ :

ـ بسببِ محبَّتي لكَ ولأصدقائِكَ أيها الدبُّ العزيزُ .

سأل الدبُّ :

ـ وماذا سنَدْفَعُ لك مُقابِلَ ذلك ؟

أجاب البائعُ :

ـ لا يُهِمُّ ما سَتَدْفَعونَه أيها الصديقُ ، فقطْ إذا أحببتمْ أن تقوموا ببعضِ الأعمالِ البسيطةِ فلكم ذلك .

قال الدبُّ غاضباً :

ـ أيها البائعُ الخبيثُ ، لقد جلَبْتَ لنا البؤسَ والشقاءَ ، لقد

كنّا سُعداءَ قبلَ رُؤيةِ وَجْهِكَ الذي بذَرَ الشّقاقَ والنزاعَ بيننا ، ولكني ألومُ القِطّ والكلبَ لأنهما سَمِعا أقوالَكَ وصَدَّقاها ، ولكني سأريكَ كيف يكونُ جَزاء أمثالِكَ .

قال الدبُّ هذا وتقدَّم نحوَ البائعِ يريدُ أن يُمَزِّقه ، ولكن البائعَ كان قد هربَ بسرعةِ الريحِ .

بعد عِدَّة أيامٍ نادى البائعُ القِطّ والكلبَ وقالَ لهما :

ـ اسْمَعا يا صديقيَّ ، حتى لا تملاّ من الجلوسَ في البيتِ ، سأكلِّفكما ببعضِ الأعمالِ البسيطةِ . ثم أردفَ قائلاً :

ـ أنتَ أيها القطُّ النظيفُ المرتّبُ ستقومُ بتنظيفِ البيتِ وتخليصِهِ من الفئرانِ والحشراتِ ، وأنتَ أيها الكلبُ القويُّ الشجاعُ ستقومُ بحراسةِ البيتِ من اللصوصِ والوحوشِ .

نظرَ الكَلْبُ والقطُّ إلى بعضِهِما ، لقد عَرَفا الآنَ الخَطأَ الكبيرَ الذي ارتَكَباه عندما أَطَاعا هذا البائعَ الماكر ، لقد تركا بيتَهما وأرضَهما وحريّتَهما ليقوما بخِدْمةِ هذا البائعِ

الماكرِ الغشاشِ .

شعر البائعُ بِثقَل كلامِه عَلَيْهِما ، فقال بخُبْثٍ :

ـ إذا كنتما مُتَضايقَيْنِ ، فأنتما أحرارٌ إذا أردتما الرحيلَ ، ولكن بعد أن تدَفعا لي ثمنَ مَبيتِكُما وطعامِكُما عن الفترةِ التي قضيتُماها عندي . ثم أضاف بعد فترةٍ : أخيراً من الواجبِ علَيَّ أن أُخبِرَكُما بأن الدبَّ يبحثُ عنكما في كلِّ مكانٍ ، مهدِّداً بأنه سيعاقِبُكما بقَسْوةٍ ، وقَدْ يقتُلُكما لأنكما تركتُماه وحيداً ورحَلْتُما عنه .

عضَّ الكَلْبُ والقِطُّ أصابِعَهُما نَدَماً ، ولكنْ ماذا يفيدُ الندَمُ بعد الذي جَرَى . غضبَ الكَلْبُ كثيراً ونظر إلى القطِّ بسُخْطٍ وقال :

ـ أنتَ أيها القِطُّ اللعينُ السببُ في هذا ، لأنَّكَ أنتَ أولُ من أَثَرْتَ النزاعَ بيننا ، وسبَّبْتَ فِراقَنا .

قال الكلبُ هذا وهَجَمَ على القِطِّ يريدُ البَطْشَ به ، ولكن

القِطُّ قفزَ بسُرْعةٍ واستنجَدَ بالبائعِ الذي عَبَسَ في وجهِ الكلبِ ، وأمرهُ أن يخرجَ إلى ساحةِ الدارِ ويبقى أمامَ البيتِ ويحرُسَه من اللصوصِ والوحوشِ ، ثم أمرَ القطَّ أن يبقى داخلَ البيتِ وينظِّفَه من الفئرانِ والحشراتِ ، وهدَّدَهما بالعقابِ الشديدِ إذا ما عَصَيا أمرَه .

ولهذا السببِ نرى الآنَ القِطَطَ تعيشُ داخلَ البيوتِ تُنَظِّفُها من الحشراتِ والفئرانِ ، ونرى الكلابَ تعيشُ خارجَ البيوتِ تحرُسُها من اللصوصِ والوحوشِ ، ولهذا السببِ أيضاً قام العِداءُ بين الكلابِ والقِطَطِ ، لأن الكلابَ تَعْتَبرُ القِطَطَ سَببَ بلائِها ، ولذلك ما إن يلمحُ كلبٌ قِطًّا حتى يهجمَ عليه يريدُ قَتْلَه .

أما الدبُّ الذي لم يستمِعْ إلى أقوالِ البائعِ الخبيثِ الغريبِ ، فهو لا يزالُ يعيشُ حُرًّا في الغابةِ ، يتجوَّلُ حيث يريدُ وينامُ في المكانِ الذي يُعْجبُه ، يستيقظ ساعةَ يشاءُ ، ويأكلُ مِنْ تَعَبِ يَدَيْهِ ، سعيداً مسروراً .

الزَّعِيْمُ



كنّا خمسةَ أطفالٍ أو ستةً ، لم أعدْ أذكرُ تماماً ، فقد مرَّ زمنٌ طويلٌ على ذلك اليومِ . كنّا نلعبُ في ساحة القريةِ ، وفجأة توقّف أكبرُنا عُمْراً وقال : تَعالَوا لنذهبَ لصَيْدِ العصافيرِ في الوادي الشرقيِّ .

جَمُدنا دهشةً وفُغِرت أفواهُنا ذُهولاً وجَحَظتْ عيوننا خوفاً ولم نتكلّمْ . قال :

ـ ما بِكُمْ واقفينَ كالبُلَهاء ، الدُّنْيا رَبيعٌ والأعشاشُ مليئةٌ بالفِراخِ والصَّيْدُ سَهْلٌ .

عادَتْ إلينا نفوسُنا فقلنا :

ـ ولكنَّ الواديَ الشرقيَّ مُخيفٌ ، فيه عقاربُ وجانٌّ .

قال : نقرأُ آيةَ الكُرْسيِّ ونُبَسْمِلُ فتَهْرُبُ .

قلنا : وفيه ذئابٌ ووحوشٌ مفترسةٌ .

قال : نَضْرِبُها بعِصيِّنا فتَهْرُبُ أو تُقتَلُ .

قُلنا : وفيه أفاعٍ وحيّات ضخمةٌ .

قال : أُمْسِكُها من رقابِها وأَعْصِرُها حتى تموتَ خَنْقاً .

توقّفنا و لم نَعُدْ ندري ماذا نقولُ ، كنّا نخافُ الذهابَ إلى الوادي الشرقي فهو يبعدُ عن القرية مسيرةَ ساعةٍ ، وقد سمِعْنا منَ الكبارِ حكاياتٍ كثيرةً عن أُناسٍ مروا عَبْرَه أو ذَهَبوا إليه فتعرَّضوا للأذى ، وهاهو كبيرُنا يطلبُ منّا الذهابَ للصيدِ هناكَ مسهّلاً لنا ما قد يَعْتَرِضُنا من عَقَباتٍ .

أخرَجَنا كبيرُنا من شُرودِنا قائلاً : هيَّا ليحضِرْ كلٌّ منكم عصاً طويلةً ، بها سنَضرِبُ الوحوشَ وبها سنُسْقِطُ أعشاشَ العصافيرِ . وليُحْضِرْ كلٌّ منكم رَغيفاً أو رَغيفينِ وسنأكلُ اليومَ وجبةً لذيذةً من لحمِ العصافيرِ المشويَّةِ .

أغْرانا بالوجبةِ اللذيذةِ ، وأَصْدُقُكُمُ القولَ يا أحبَّائي سالَ لُعابُنا اشتهاءً فنَسِينا خوْفَنا ومَضَيْنا إلى بيوتِنا بخِفّةٍ ، دَسَسْنا أرغفةً في جُيوبِنا ، وحَمَلْنا عِصِيًّا طويلةً وتَسَلَّلْنا خارِجِينَ من القريةِ كي لا يشعرَ بنا أحدٌ ، وكي لا يعرفَ أحدٌ مِنْ أهلِنا قَصْدَنا فيَمنعنا من الذهابِ .

التَقَيْنا خارجَ القريةِ بعد دقائقَ ، كان ينتظِرُنا حامِلاً عصاهُ الطويلةَ ، وحين اكتملَ جَمْعُنا قال سائلاً : أأحْضَرَ أحدُكُم ثِقاباً ؟

سكَتْنا ولم نُجِبْ فلا أحدٌ منّا فكّر في ذلكَ .

قال : وكيفَ سنُشْعِلُ النارَ التي سنَشْوِي عليها العصافيرَ ؟

تابَعْنا سكوتَنا واحتَرْنا بماذا نُجيبُ .

قال : لا أدري ماذا ستفعلونَ مِن دُونـي ، أنتـم لا تفكّـرونَ جَيِّـداً أبـداً ، ولكـنْ لا بـأسَ عَلَيْكُـم ، فقـد فكّرْتُ عنكـمُ وأحضَرْتُ ما يلزمُ لإشعالِ النارِ .

قالَ هذا وسار فسِرْنا خَلْفَه ، لم نشعرْ بالتعبِ ونحن نسـيرُ ، كنا نمنّي أنفسَنا بوجبةٍ لذيذةٍ ، ورائحـةُ الشِّـواءِ كـانَتْ قَـدْ سدَّتْ أنوفَنا حتى قبلَ أن نصلَ الواديَ ونصطادَ العصافيرَ .

ووصَلْنا الـواديَ ، وَقَفْنـا خـائفينَ متهيِّبـينَ دُخولَه ، ولكـنَّ كبيرَنا الذي أصبحَ زعيمَنا تمتَمَ بكلماتٍ ، ثـم قـالَ بصـوتٍ عالٍ : بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ، وأضـاف : هيَّـا اتبعونـي . ودَخَلَ مُختَرِقاً أشجارَ الوادي الكثيفةَ .

رَدَّدْنـا بصـوتٍ عـالٍ (بسـمِ اللهِ الرحمـنِ الرحيـمِ) ودَخَلْنـا خَلْفَه .

أذهَلَنا المنظرُ بجَمالِه ، أشجارٌ كبيرةٌ وصغيرةٌ مـن كـلِّ نـوعٍ

تُخيِّم فوقَ وادٍ تترقرقُ فيه مياهٌ صافيةٌ وعصافيرُ كثيرةٌ تغرِّدُ صاعدةً هابطةً .

لم يترُكْ لنا زَعيمُنا فرصةً للتمتُّع بالمنظرِ الجميلِ ، قالَ : هيَّا اصطادُوا العصافيرَ وسَنستَمْتِع بالمناظرِ بعدَ الغَداءِ الشهيِّ .

قال هذا وضربَ بعصاه أوَّلَ عُشٍّ رآه فوقَ شجرةٍ قريبةٍ فأَسقَطَها ، وتناولَ منها الفراخَ الصغيرةَ ذاتَ المناقيرِ الصغيرةِ والتي لم تكنْ قادرةً على الطيرانِ .

وانطلَقْنا نفعلُ مِثْلَه ، أَسقَطْنا أعشاشاً كثيرةً ، جَمَعْنا فِراخاً كثيرةً ، كانت تزقزقُ بين أيدينا خائفةً مرتَجِفَةً ، ولكنّنا ما كنّا نبالي .

جمَعْنا الكثيرَ ، ملأنا كِيساً كبيراً منها ، كانت تكفي لإطعامِ ضِعْفِ عَدَدِنا ولكننا كنّا مندفعينَ مغترّينَ بسهولةِ الصيدِ ، لا نفكِّرُ إلا بتخريبِ الأعشاشِ وجَمْعِ ما فيها .

وفجأةً توقفتُ ، جَحَظتْ عينايَ وفُغِر فمي وتَجَمَّدْتُ في

مكاني مَرْعوباً لا أقدرُ على الكلامِ ، أنظرُ بخوفٍ شديدٍ إلى نقطةٍ معينّة غيرِ بعيدةٍ عنّي .

بعدَ قليلٍ انتبهَ زعيمُنا لوقوفي دون حَراكٍ وعدمِ مشاركتي بالصيدِ ، فصاحَ غاضباً : لماذا لا تتحرّكُ وتصطادُ مِثْلَنا ؟

لم أستطعِ الردَّ عليه ، كنتُ مشلولاً غيرَ قادرٍ على الحركةِ خوفاً ، كلُ ما استطعتُ فِعْلَه أن أشَرْتُ له بعيني طالباً منه أن يَرى ما أراه .

تقدَّم مني مَستَطْلِعاً ساخِراً قائِلاً : ما بِكَ ، إلامَ تنظرُ هكذا خائفاً ؟

فأشرتُ له إلى ما أراه ، كانَتْ أفعى ممسكةً بعصفورٍ صغيرٍ تبتلِعُه رُوَيْداً رُوَيْداً والعصفورُ كان يُزَقْزِقُ خائِفاً ، وفي الحقيقةِ لم تكن أفعى ضخمةً إذ كان ما تبتلِعُه عصفوراً وليس خَروفاً أو تَيْساً ، ولكنني كنتُ خائفاً وكنتُ أَحْسِبُها أفعى ضخمةً يومئذ ، فاستنجدتُ بزعيمنا علّه يقبِضُ على

عُنُقِها ويَخْنُقُها .

ولكنَّ الزعيمَ العتيدَ ما إنْ رأى مـا أراه حتـى سَـقَطَ كِيْسُـهُ وعصاه من يَدَيْهِ ، وشمَّر عـن سـاقَيْهِ واضِعـاً طَـرَفَ ثَوْبـه في فَمِهِ وهو يصيحُ بنا : الحقوني . وانطلقَ يَعْدُو كغزالٍ بَرِّيٍّ . انتبَهْنا إلى ما جَرَى وازداد خَوْفُنـا فلعـلَّ زعيمَنـا رأى مـا لم نَرَهُ ، وظننا أنّـه رأى وَحْشـاً ضاريـاً أو عِفْريتـاً مُخيفـاً مِـن الجنّ ، وبسرعة شـديدة أسقَطْنا مـا في أيدينـا مـن عصـافيرَ وعصيٍّ وفعَلْنا مِثْلَما فعلَ منطلقينَ خَلْفَه بأقصى مـا نسـتطيعُ من سرعةٍ . رَكَضْنا ورَكَضْنا نريدُ اللّحاقَ به فلم نسـتطعْ ، كـان يسبِقُنا بمسـافةٍ كبـيرةٍ وهـو يصيـحُ بنـا بـينَ الفـترةِ والأخرى : اتبعُوني ، الحَقُوني ، الويلُ لكم إنْ لم تَفْعَلُوا .

ظَلَلْنا نركضُ بسرعةٍ شديدةٍ ، تعالى لُهاثُنا ونحنُ نركـضُ ، وَصَلْنا القريةَ ، اجْتَزْناها ، خرَجَ الناسُ من البيـوتِ ينظـرونَ إلينا مستغربينَ ، سألونا عمَّا أصابَنا ولماذا كلُّ هـذا الركـضِ السريعِ ، لم يكنْ لدينا وقتٌ للإجابة ، كنّـا نركـضُ خلـفَ

زعيمِنا فَقطْ .

خرَجْنا من القريةِ ، ابتعَدْنا عنها راكِضينَ حتى هدَّنا التعبُ ، فسقَطْنا إعياءً حيثُ سقَطَ هو ، وبعد فترةٍ ليسَتْ بالقصيرةِ استردَدْنا أنفاسَنا وهدأَتْ نُفُوسُنا ، فسأَلْتُه مستغرباً : قلْ لنا يا زعيمَنا ماذا رأيتَ حتى جريتَ هارباً بكلِّ هذه السرعةِ فجرَيْنا خلْفَكَ .

قال مندَهِشاً يخاطبني : عجيبٌ أمرُكَ ، ألم ترَ الأفعى كيف كانت تَبْتلِعُ العصفورَ .

قال أحدُنا :

ـ ومن ذلك جريتَ كلَّ هذا الجريَ ؟

قال :

ـ وماذا لو ابتلعَتْ أحدَنا أو ابتلعَتْنا كلَّنا .

قال آخرُ :

ـ ألم تقلْ إنكَ ستَخنُق الأفاعيَ بيدَيْكَ إن قَابلَتْنا .

قال :

كيف أَخنُقُها وهي أفعى ضخمةٌ ، ربما ابتلَعَتْني لـو اقـتربتُ مِنْها .

نظرنا إلى بعضِنا مستغربينَ ، كيف تستطيعُ أفعى لا تبتلعُ إلا عصفوراً أن تبتلـعَ طِفـلاً كبيراً قـاربَ الخامسـةَ عشـرةَ مـن عُمُرِهِ !!

لم يأبَهْ زعيمُنا للاستغرابِ الذي بدا على وُجُوهِنا ، بل انتبـهَ إلى الرجالِ القادمينَ من القريةِ نَحْوَنا فقالَ يخاطِبُنـا : أغلَـبُ ظـني أن هـؤلاء أهلُنَـا قـادمونَ للاستفسـارِ عمـا أصابَنـا والاطمئنانِ علينا ، فإذا وصلوا وسألونا فَلْنَقُلْ لَهُـمْ إننـا كنّـا نتسابقُ ، يجبُ أن لا يعرفوا أننا كنّا نجري خوْفاً .

نظرنا إلى بَعْضِنا باستغرابٍ أكـثرَ ، ودُهِشْنا للمنطـقِ الـذي كان يحدِّثُنا به ، فكّرنا قليلاً ، ثم قُلْنا بصوتٍ واحدٍ : وتريدُ منّا أن نكذِبَ أيضاً ، أيجوزُ هذا أيها الزعيمُ العتيدُ ؟

قلنا ذلك ساخِرِينَ ضاحِكِينَ ، وحين رَوَيْنا لأهلِ القريـةِ مـا جرى ، ضَحِكوا ساخِرِينَ ، وقالوا : حقّاً إنه زعيمٌ عتيدٌ .

أمَّا هو فقد ذاب خَجَلاً واستحياءً .



الفهرس





لماذا سخر أطفال القرية من زعيمهم ؟ وكيف استطاع البلبل الصغير الانتصار على القط المعتدي بذكائه ؟

وما هي حكمة السنديانة الكبيرة التي نقلتها لصغارها ؟

ستعرفون ذلك وغيره حين تقرؤون قصص هذه المجموعة التي كُتبت لصغارنا الأحباء بلغة سليمة دقيقة رقيقة تساعدهم على تنمية مهاراتهم اللغوية ومعارفهم الأدبية ، ولتكون زاداً فكرياً معرفياً لهم .

- أســـرار البحيرة
- الـزعيـــــــم
- الشيخ و الأزهار









